الفصل الرابع

لبنان وعلاقاته الإقليميّة والدوليّة

«منذ بداية عهده، اتّخذ الرئيس شهاب قرارًا بأنّ السياسة الخارجيّة جزء لا يتجزّأ من الوحدة الوطنيّة، بمعنى أنّه إذا كان هناك من موضوع متّصل بالسياسة الخارجيّة يتوافق مع الوحدة الوطنيّة فلا مشكلة بالسير به، أمّا إذا كان الموضوع سيتسبّب بانفجار الوحدة الوطنيّة فلا نسير به. وهو ما لم يفعله الرئيس شمعون، بل ذهب إلى حافّة حلف بغداد، كما ذهب أيضًا باتّجاه «دوكترين آيزنهاور». تسبّبت السياسة الخارجيّة في عهد شمعون بانفجار البلاد. كانت السياسة الخارجيّة التي اتّبعها الرئيس شهاب امتدادًا للسياسة الخارجيّة التي كانت متّبعة في عهد الرئيس بشارة الخوري من خلال حميد فرنجيه وفيليب تقلا، ومفادها بأنّ لبنان على الحياد في حال خصومة بلدَين عربيَّين، ومع أي بلد عربيّ في حال الخصومة مع أي دولة إقليميّة».[٢٥٣]

«اعتقد فؤاد شهاب بضرورة أن تحمي السياسة الخارجيّة الوحدة الوطنيّة والعكس. بمعنى أنّه علينا حماية المجتمع اللبنانيّ من أيّ سياسة خارجيّة، ومن أجل الحصول على ضمانة المجتمع اللبنانيّ، يجب ألّا يكون لبنان جزءًا من صراعات إقليميّة ويجب الحرص على الوحدة الوطنيّة من خلال التوافق على السياسة الخارجيّة، وفي تعاطي السياسة الخارجيّة مع الإقليم والغرب، يجب ألّا تتسبّب بخللٍ في الوحدة الوطنيّة».[٢٥٤]

«لذلك حرص الرئيس شهاب في ما يتعلّق بالسياسة الخارجيّة منذ البداية، وتجلّى ذلك في الرسالة التي أرسلها لعبد الناصر، بأنّ لبنان لن يكون في الجامعة العربيّة أو خارج الجامعة العربيّة ضدّ مصر، ولن يكون أيضًا جزء من أي محور إقليميّ أو دوليّ، فحصل بالمقابل من عبد الناصر على إطلاق يده في حكم لبنان.»[٢٥٥]

٢٥٣- نقولا ناصيف، مقابلة، مرجع سابق.
٢٥٤- المرجع نفسه.
٢٥٥- المرجع نفسه.

simon kashar 16 feb 2023.indd 119 2/17/2023 3:15:37 PM

نرى جليًّا هنا إدراك الرئيس شهاب لواقع أنّ السياسة الخارجيّة لا بدّ أن تحمي الوحدة الوطنيّة والعكس.

يشير فؤاد بطرس بأنّه على مستوى السياسة الخارجيّة، انتهج الرئيس شهاب سياسة عربيّة مغايرة لسياسة سلفه، قامت على التفاهم مع رئيس الجمهوريّة العربيّة المتّحدة جمال عبد الناصر على قاعدة تناغم لبنان مع سياسة مصر العربيّة وإلى حدّ ما الخارجيّة مقابل عدم تدخّل القاهرة أو دمشق في الشؤون اللبنانيّة. وقد كرّست هذه القاعدة القمّة الوحيدة التي عقدها الرئيسان اللبنانيّ والمصريّ في اجتماع الخيمة الشهير على الحدود اللبنانيّة–السوريّة.[٢٥٦]

يقول العميد الركن المتقاعد ميشال ناصيف بأنّ الرئيس شهبا كان له الثقة الكاملة بوزير الخارجيّة فيليب تقلا الذي كان يمثّل لبنان وحكومته ومصالح شعبه خير تمثيل في المحافل الدوليّة. كما أنّ السفراء كانوا من أهمّ الشخصيّات كنجيب صدقة، وفؤاد عمون، وجوزف حرفوش، وأحمد الداعوق.[٢٥٧]

نستنتج بأنّ الرئيس شهاب، ورغم الهالة التي كان يتمتّع بها، ورغم وعيه وبصيرته، لكنّه آمن بدور الإدارة والإداريّين والسّياسيّين والسفراء وبأنّ كلّ واحد منهم يستطيع تمثيل لبنان بأفضل وجه طالما أنّ الهدف واحد والسياسة الخارجيّة والداخليّة واحدة.

كذلك يرى أحمد الحاج بأنّ السياسة الخارجيّة في عهد الرئيس فؤاد شهاب كانت امتداد لسياسته الداخليّة ضمن ما يشكّل لبنان من أقليات مسيحيّة وإسلاميّة وأقلّيات صغيرة كالسرّيّان والعلويّين. رأى الرئيس شهاب عبر التاريخ وخصوصًا أحداث ١٩٥٨ بأنّ أسباب تلك الثورة هي انعدام الوحدة الوطنيّة وانعدام الولاء؛ فلا يستطيع المواطن أن يكون مواليًا للبنان ولسوريا أو فرنسا في الوقت نفسه.»[٢٥٨]

منذ ندائه الأوّل إلى اللبنانيّين بعيد انتخابه، وضع الرئيس شهاب لبنة السياسة الخارجيّة للعهد الجديد، فجعل التوازن في علاقاته الدوليّة مرتكز حماية الاستقرار اللبنانيّ، وعمل على النأي بلبنان كي لا يصير ساحةً لنزاعات جيرانه، فيما تتجاذبه التناقضات الاجتماعيّة والطائفيّة والعقائديّة الضاربة الجذور في بنيته الوطنيّة(...)[٢٥٩]

٢٥٦ – أنطوان سعد، مرجع سابق، صفحة ٥٧.
٢٥٧– ميشال ناصيف، مقابلة، مرجع سابق.
٢٥٨– أحمد الحاج، مقابلة، مرجع سابق.
٢٥٩– نقولا ناصيف، مرجع سابق، **جمهوريّة فؤاد شهاب**، صفحة ٣٣٦.

simon kashar 16 feb 2023.indd 120 2/17/2023 3:15:37 PM

كان يرى لبنان، الدولة الصغيرة، بلدًا عربيًّا لا مصلحة له في الانضمام إلى أيّ محور عربيّ. وعلى قدر معرفته بالقدرات العسكريّة المحدودة للجيش اللبنانيّ في مواجهة إسرائيل، لم يتردّد فؤاد شهاب في تأكيد تضامنه مع الدول العربيّة وجيوشها في معركة تحرير الأراضي العربيّة التي احتلّتها الدولة العبريّة، وصدّ أيّ عدوان عليها. وخلافًا لواقع الأنظمة العربيّة، المتأرجحة قيادتها بين حكم الجيش والملكيّة والإمارة، أبلغ الرئيس اللبنانيّ القيادة العربيّة الموحّدة، ردًّا على اقتراحات قالت بدعم جيشه الوطنيّ بقوّات مسلّحة سوريّة أو مصريّة، أنّ لبنان لا يستطيع السماح بدخول قوّات عربيّة إلى أراضيه طبقًا لخطّة القيادة العربيّة الموحّدة لدعم قوّاته المسلّحة إلى حين تعزيزها، إلّا بعد الحصول على مصادقة السلطة الاشتراعيّة فيه.[٢٦٠]

رغم أنّ النظام السّياسيّ وقتها كان يسمح له بالاستئثار في اتّخاذ القرارات، أكان على صعيد تشكيل الحكومة أو غير ذلك، نرى هنا كيف أن الرئيس شهاب عكس إيمانه بضرورة تنسيق وتناغم المؤسّسات الدُّستوريّة فيما بينها، وربط مصادقة المجلس النيابيّ كسلطةٍ اشتراعيّة على قرارٍ بتلك الأهمّيّة.

لقد بدا فؤاد شهاب، يقول بطرس، منفتحًا على العالم العربيّ بقدر ما كان متمسّكًا بكرامة لبنان وسيادته واستقلاله، ولم يمنعه هذا الانفتاح من المجاهرة بصداقته مع الفرنسيين ومن الحفاظ على علاقته الجيّدة معهم على رغم الموقف العربيّ العارم المناهض بشدّة لفرنسا إبّان الثورة الجزائريّة. وكان يعتبر أنّ دور لبنان في العالم، لاسيّما في جامعة الدول العربيّة، يقوم على دعم القضايا العربيّة من دون الانزلاق إلى الانحياز إلى طرفٍ ضدّ آخر. ولطالما اعتقد شهاب أنّ السياسة الخارجيّة لكلّ بلد ليست سوى انعكاس لظروفه الداخليّة وعندما لا تؤخذ هذه الظروف بالاعتبار فهذا يعني أنّ البلد يسير نحو الخراب، وقد حاول، بحسب بطرس، تطبيق تلك القاعدة الذهبيّة طوال فترة ولايته.[٢٦١] إذ حيّد شهاب بذلك لبنان وحافظ على تميّزه في المنطقة.

أرسى حكم فؤاد شهاب السياسة الدفاعيّة للبنان وفق قاعدة الانضواء في التضامن العربيّ مع القضيّة الفلسطينيّة في مواجهة دولة عدوّة، ملتزمًا معاهدة الدفاع العربيّ المشترك

٢٦٠- نقولا ناصيف، مرجع سابق، **جمهوريّة فؤاد شهاب**، صفحة ٣٣٦-٣٣٨.
٢٦١- أنطوان سعد، مرجع سابق، صفحة ٥٨.

simon kashar 16 feb 2023.indd 121 2/17/2023 3:15:37 PM

التي وقّعها رئيس الحكومة رياض الصلح في ١٧ حزيران ١٩٥٠، ومتمسّكًا في الوقت ذاته باحترام اتّفاق الهدنة اللبنانيّ–الإسرائيليّ المعقود في ٢٣ آذار ١٩٤٩ نظرًا إلى عدم قدرة الجيش اللبنانيّ على خوض حرب غير متكافئة مع إسرائيل؛ فتفادى التحرّش بها.[٢٦٢]

لقاء الخيمة الشهير

في الثامن عشر من آذار عام ١٩٥٩، استدعى الرئيس شهاب اللواء الحاج إلى منزله في جونيه وفاتحه بقراره عقد قمّة مع الرئيس عبد الناصر، وأوكل إليه مهمّة الذهاب إلى دمشق للقاء وزير الداخليّة في الإقليم السوري العقيد عبد الحميد السرّاج للتباحث معه والاتّفاق على تفاصيل اللقاء، مصرًّا أن يكون مكان الاجتماع على الحدّ الفاصل تمامًا بين سوريا ولبنان.[٢٦٣]

فما كان من اللواء الحاج، الملازم أوّل حينها، إلّا أن ذهب إلى دمشق وعاد إلى جونيه للقاء الرئيس شهاب، والعودة مجدّدًا إلى دمشق لمقابلة العميد عبد المحسن أبو النوار –الممثّل المصريّ في القطر السوري، «وبالفعل تمّت الاستجابة لكامل اقتراحاتنا، يقول الحاج، وعقد اللقاء يوم الأربعاء في الخامس والعشرين من شهر آذار ١٩٥٩ تحت خيمة الصفيح المشهورة على الحدود الفاصلة بين البلدَين كما طلبنا، فوضع كرسيّ الرئيس عبد الناصر وحوله الوفد المرافق في الأراضي السوريّة وفي المقابل كرسيّ الرئيس شهاب وإلى جانبه الرئيس العوينيّ في الأراضي اللبنانيّة»(...)[٢٦٤]

فور جلوسهما على الطاولة، تبادل الرئيسان كلامًا ودّيًا ومجاملات، ثمّ توجّه الرئيس شهاب للرئيس عبد الناصر قائلًا «أنت عملت من أجل الوحدة بين مصر وسوريا، وأنا أعمل من أجل الوحدة بين جناحَي لبنان، واعتقد بأنّ مهمّتي أصعب من مهمّتك لأنّ لدينا أفرقاء متناحرين، وهناك من يتدخّل لتحريض هذا الفريق أو ذاك... ثمّ دار حديثٌ بين الرئيسَين وقال عبد الناصر لشهاب «نحن لا نريد للبنان إلّا الخير والسلام، وفكرة انضمام لبنان إلى الوحدة العربيّة غير واردة... أؤكّد لك يا فخامة الرئيس أننا لن نتدخّل في شؤون لبنان، وليس في حساباتنا التدخّل. في مقابل ذلك، أريد منك ألا تسمح بجعل لبنان ممرًّا أو مقرًّا لنشاطات تهدف إلى ضرب سوريا.»[٢٦٥]

٢٦٢– نقولا ناصيف، مرجع سابق، **جمهوريّة فؤاد شهاب**، صفحة ٣٣٨.
٢٦٣– أحمد الحاج، **من الجنديّة إلى الدبلوماسيّة**، دار النهار، الطبعة الأولى، ٢٠١٢ صفحة ٨٦.
٢٦٤– المرجع نفسه، صفحة ٨٧.
٢٦٥– نقولا ناصيف، مرجع سابق، **جمهوريّة فؤاد شهاب**، صفحة ٣٢٩–٣٣٠.

simon kashar 16 feb 2023.indd 122 2/17/2023 3:15:37 PM

شكّل هذا اللقاء منعطفًا تاريخيًّا في السياسة اللبنانيّة؛ فالعبرة الأولى منه كانت أولًا في تجاوب الرئيس عبد الناصر مع اقتراح نظيره اللبنانيّ وقبله الاجتماع به تحت خيمة نصف مساحتها في الأراضي السوريّة والنصف الآخر في الأراضي اللبنانيّة، حفاظًا على كرامة لبنان ومراعاة لمشاعر شريحة كبرى من اللبنانيّين كانت ترى في الوحدة بين مصر وسوريا تهديدًا جديًا للكيان اللبنانيّ (...)[٢٦٦]

تجاهل الرئيس شهاب الناصريّة مذهبًا عقائديًا، وقاربها من خلال نظرته إلى قائدها وزعيمها فقط على أنها ديبلوماسيّة حكيمة متفهّمة أدركت حساسيّة الوضع اللبنانيّ ودقّة تكوينه السّياسيّ والطائفيّ والثقافيّ والاجتماعيّ، وخصوصيّة الدور المسيحيّ فيه، وتنبّهت إلى أهمّيّة المحافظة على استقرار لبنان ووحدته الوطنيّة. تفادى الاحتكاك بها وانتقادها علنًا خشية تعارضه الحتمي وإيّاها. حاول، في الوقت ذاته، أن يجعل من المتحمّسين له والمنضوين في فكرتها عنصر أمان للعلاقات الوطنيّة الداخليّة، وأداة مواليّة لتعزيز الحكم وحماية النظام. أراد الرئيس شهاب اجتذاب الناصريّة في لبنان إلى شهابيّته هو، لا انقياد الشهابيّة إلى الزعيم المصريّ. بسبب ذلك، حرص عبد الناصر على تمييز الموقع السّياسيّ والطائفيّ اللبنانيّ (...)[٢٦٧]

فالعبرة من تلك القصّة في ما يتعلّق بالسياسة الخارجيّة اللبنانيّة وخصوصًا بأنّه كان هناك شعور طائفيّ متأزّم حينها. «فمراعاةً لشعور جميع اللبنانيّين، أوعز الرئيس شهاب للواء الحاج قبيل إرساله إلى دمشق لمناقشة تفاصيل اللقاء بشرطٍ واحد وهو عدم زيادة أو انقاص ولا سنتيمتر واحد، «فالمطلوب أن أكون جالس على الحدّ الفاصل مع سوريا» قال شهاب للحاج. لم يرد أن يسجّل على نفسه، خصوصًا في هذا الاجتماع الرمزي، بأنّه تنازل عن شبرٍ من الأراضي اللبنانيّة لسوريا. كان فؤاد شهاب غربيّ الهوى من ناحية الثقافة والقوانين والحضارة، فكانت كلّ الأفكار تلك مستمدّة من فرنسا وطبّقها في سياسته.»[٢٦٨]

يروي اللواء سامي الخطيب لناصيف «بأنّه في حينه، وعندما كان أحد الزعماء السنّة كصائب سلام يتجرّأ على مواجهة العهد الشهابيّ، ينكفئ عن ذلك فور تلقّيه مكالمة هاتفيّة من السفير المصريّ عبد الحميد غالب، فلطالما أرغمهم عبد الناصر على الانصياع لفؤاد شهاب.»

٢٦٦- أحمد الحاج، مرجع سابق، **من الجنديّة إلى الدبلوماسيّة**، صفحة ٨٨.
٢٦٧- نقولا ناصيف، مرجع سابق، **جمهوريّة فؤاد شهاب**، صفحة ٣٣٩-٣٤٠.
٢٦٨- أحمد الحاج، مقابلة، مرجع سابق.

simon kashar 16 feb 2023.indd 123 2/17/2023 3:15:38 PM

حمت تلك السياسة لبنان لأسبابٍ عدّة، منها أنّ الرئيس شهاب كان محطّ ثقةٍ كرئيس، كان رئيس مهاب ومحترم؛ فبالرغم من محبّة المسيحيّين لكميل شمعون، إلّا أنهم كانوا يهابون شهاب. حاز الرئيس شهاب على احترام المسلمين ومحبّتهم بسبب علاقته المميّزة مع عبد الناصر. واستقرّت تلك العلاقات من العام ١٩٥٩ إلى العام ١٩٦١، إلى أن وصلنا إلى ٢٨ أيلول ١٩٦١ عندما وقع الانفصال بين مصر وسوريا حين بدأت الأخيرة «زكزكاتها» على لبنان.[٢٦٩]

وعنونت «النهار» في اليوم الثاني للقاء التالي: «بعد اجتماع على الحدود اللبنانية-السورية دام ثلاث ساعات شهاب وعبد الناصر يصدران بلاغ تفاهم مشترك:

١- دعم الاستقلال والكيان.

٢- تدعيم التضامن العربي.

٣- حلّ المسائل الاقتصادية.

وكتب غسان تويني (غ. ت.) في الصفحة الأولى لهذا العدد ما حرفيته: «الاجتماع الذي حدث أمس على الحدود اللبنانية رجوع إلى الحلقات الطبيعية مع الجمهورية العربية المتّحدة وتكريس لواقع لبنان لا في علاقاته مع الجارة الشقيقة وحسب بل في نطاق مركب العلاقات العربية العامة. على هذا الأساس نعتبر أن الاجتماع كان لبنانيًا... وكان لبنانيًا كذلك لأنه وهو اجتماع مع فريقٍ دون الآخر، لم يشكّل انحيازًا بقدر ما يشكّل تكليفًا للبنان بالاستمرار في الدور الذي يهيّئه له مركزه: دور الوسيط القادر على العمل لجمع العقد العربي والمساهمة في خدمة القضايا العربية -تلك القضايا التي لا يمكن أن تخدم فعلًا قبل أن يتّحد الصف العربي ويقف، ولو تجاه الغير، موقفًا مشتركًا. ونحن إذ نرحّب بهذا الاجتماع ونهنّئ سلطات البلدَين بنجاحه، نعتبر أن هذا النجاح ليس سوى خطوة أولى في سبيل السياسة التي يجب أن تتجلّى أكثر ما تتجلّى في اجتماع الجامعة المرتقب في بيروت.»

أما الصحافي ميشال أبو جوده فكتب في زاويته «من حقيبة النهار» مقالًا بعنوان «اللبناني الأول أول لبناني يتفاهم مع عبد الناصر.»

٢٦٩- نقولا ناصيف، مقابلة، مرجع سابق.

simon kashar 16 feb 2023.indd 124 2/17/2023 3:15:38 PM

يرى مروان حرب بأنّ الرئيس شهاب «كان واقعيًّا إلى أبعد الحدود في علاقاته الإقليميّة والدوليّة، ولكن في الوقت نفسه مارس سياسة الحياد الإيجابيّ وتجنّب توريط لبنان بكلّ الأحداث التي كانت تجري في المنطقة. اِستطاع شهاب أن يفعل ذلك وجاراه الرئيس جمال عبد الناصر في ذلك. ونجح شهاب في ذلك لأنّ الدول الإقليميّة كانت موافقة على حياد لبنان –فلا تستطيع أيّ دولة اتّباع سياسة الحياد إذا لم يكن هناك من موافقة من قبل الدول صاحبة القرار المؤثّرة والمجاورة.»

«كانت معادلته واضحة جدًا؛ فعند اتّفاق الدول، يقف العهد الشهابيّ إلى جانبها، وعند اختلافها، عدم التدخّل هو القرار. يخلص حرب بأنّه لم يكن هناك سياسة خارجيّة للعهد الشهابيّ. إقليميًّا كان قريبًا من عبد الناصر ومتّبعًا لسياسة الحياد الإيجابي، أما دوليًّا فكان لديه الرضى الأميركيّ ومثالًا على ذلك هو رفضه القصف المدفعي على المارينز في العام ١٩٥٨.»

«كان فؤاد شهاب سياسيًّا واقعيًا، فهو مارس السياسة المحليّة والإقليميّة والدوليّة بواقعيّة كبيرة ورفض توريط لبنان بمشاكل ومحاور عدّة، فبطبيعته لم يكن إنسانًا مجازفًا.[٢٧٠]

نستنتج بأنّ فؤاد شهاب كان رئيسًا حذرًا واقعيًّا لا يهوى اللعب على حافّة الهاويّة والمخاطرة، وهذا يعود ربما إلى تربيته العسكريّة.

في دور لبنان العربيّ وسياسته الخارجيّة

«إنّ الإخلاص والصراحة في علاقتنا بالبلدان العربيّة الشقيقة، والكرامة والصداقة في جميع علاقتنا الأجنبيّة، هي أسس جديرة بتوفير حياة هنيئة لوطننا لبنان، يتأمّن فيها الازدهار والسلام والطمأنينة والعزّة. وهي كفيلة بأنّ تضع لبنان في المنزلة الكريمة التي يستحقّها في البلدان العربيّة والعالم». من خلال هذا الموقف، يشير حرب إلى أنّ الرئيس شهاب بدا حريصًا على روح الميثاق الوطنيّ مثله مثل بشارة الخوري وحميد فرنجيّة وشخصيّات عديدة ناضلت من أجل استقلال لبنان. لقد كان يعتبر أنّ استقلاليّة لبنان تتطلّب سياسة تضامنيّة مع البلدان العربيّة عندما تتّفق على موقفٍ قوميّ عربيّ مشترك، وسياسة حياد بين هذه البلدان عندما يفترقون في ما بينهم، أو في علاقاتهم مع البلدان الأجنبيّة. وكان الرئيس شهاب يؤمن باستقلال الكيان اللبنانيّ وبانتمائه إلى القوميّة

٢٧٠– مروان حرب، مقابلة، مرجع سابق.

simon kashar 16 feb 2023.indd 125 2/17/2023 3:15:38 PM

العربيّة. إنّ عروبة لبنان كانت تمرّ بتضامنه مع البلدان العربيّة وإخلاصه للقضايا القوميّة العربيّة، وبخاصّة القضيّة الفلسطينيّة.[٢٧١]

وبالنسبة إلى إسرائيل، يتابع حرب قائلًا بأنّ الرئيس شهاب كان مدركًا لخطرها، وكان حريصًا على اتّفاق الهدنة نتيجة ضعف لبنان العسكريّ، ولكنّه لم يتردّد العام ١٩٤٨ في المشاركة في حرب فلسطين، أو في المشاركة العام ١٩٦٤ في تأسيس القيادة العربيّة المشتركة ذات الوظيفة الدفاعيّة.[٢٧٢]

«مارس الرئيس شهاب سياسة انفتاح باتّجاه القوى العظمى. واعتبر البلدان الاشتراكيّة والاتّحاد السوفياتي بلدانًا صديقة. وأمّا بخصوص الولايات المتّحدة فالتعاون كان ودّيًا ولكن متحفّظًا. ومع سياسة الجنرال ديغول المنفتحة تجاه العرب، طوَّر لبنان علاقات مكثّفة مع فرنسا على المستويات كافّة وبخاصّة المستوى الثقافي، علمًا أنّ سياسة التعاون مع فرنسا نالت رضى المسيحيّين والمسلمين.»[٢٧٣]

«ومن خلال هذا الإدراك الواقعيّ والمتوازن لسياسة لبنان الخارجيّة، لم تحاول الشهابيّة لعب أدوار إقليميّة ودوليّة تتجاوز قدرة لبنان، وامتنعت عن الانحياز في صراعات دوليّة وعربيّة، حتى لا تتعمّق التناقضات الداخليّة في البنية الاجتماعيّة والسّياسيّة للبنان. لقد حاولت السياسة الشهابيّة أن تقيم هدنة طويلة وراسخة في السياسة الخارجيّة لكي تتفرّغ للقضايا الداخليّة.»[٢٧٤]

في الحياد الإيجابي

لا يمكن فصل الاستقرار الداخليّ، يقول حرب، خلال ولاية الرئيس شهاب عن التيّار العربيّ الناصريّ الذي كان مهيمنًا في العالم العربيّ. ويشير حرب إلى أن الرئيس شهاب قد بدأ ولايته بلقاء الخيمة الشهير في ٢٥ آذار ١٩٥٩ مع الرئيس المصريّ جمال عبد الناصر. ويُنقل عن الرئيس شهاب قوله بعد هذا اللقاء: «يجب أن نعرف كيف نعيش في ظلّ هذا الرجل الكبير»، فهو قد فهم منذ البداية أنّه لا يمكن للبنان أن يكون غريبًا عن المناخ العام العربيّ. ومرَّة أخرى كان الهمّ الأساس لفؤاد شهاب حياد لبنان، ولم يكن الأمر سهلًا في شرقٍ أوسط بحالة غليانٍ دائم.[٢٧٥]

٢٧١- مروان حرب، مرجع سابق، صفحة ٦٨-٧٠.
٢٧٢- المرجع نفسه.
٢٧٣- المرجع نفسه.
٢٧٤- المرجع نفسه.
٢٧٥- مروان حرب، مرجع سابق، ٧٧-٨٢.

simon kashar 16 feb 2023.indd 126 2/17/2023 3:15:38 PM

في تحليله للشهابيّة، ينقل مروان حرب عن جورج نقّاش التالي: «إنّ القاعدة الكبرى التي يجب أن توجّه السياسة الخارجيّة اللبنانيّة هي قاعدة عدم الانحياز)...(. إنّ سياستنا الخارجيّة يجب أن تعكس على الصعيدَين العربيّ والعالميّ ازدواجيّة لبنان نفسها. ليس لدينا حقّ ولا قدرة على الاختيار أو الارتباط بتعهُّدات تضرّ بالقضيّة التي تدّعي خدمتها بتشكيلها خطرًا على الوحدة اللبنانيّة.»[٢٧٦]

«كان شهاب مدركًا ضرورة إجراء توازن سياسي، وإعادة العلاقات الودِّيّة مع جيران لبنان العرب، مع الحفاظ على العلاقات التقليديّة مع الغرب حيث القيم التي يحرص لبنان عليها بقوّة؛ وأن يحلّ المشكلات التي سبَّبت كثيرًا من المصاعب للبلاد خلال الأعوام السابقة، والأخذ بالاعتبار الظاهرة الجماهيريّة التي تمثّلها الناصريّة، من غير أن يحيد عن سياسة الحياد الدقيقة التي تحوَّلت إلى عقيدة في عهد بشارة الخوري.»[٢٧٧]

«تعتبر الشهابيّة أنّ صيانة سيادة لبنان تتطلَّب سياسة أخويّة مع المحيط العربيّ مؤسّسة على التعاون المخلص، وعلى الدعم لكلّ سياسة عربيّة مشتركة. ولكن إذا انقسمت البلدان العربيّة على السياسة العربيّة–العربيّة، أو الدوليّة، على لبنان أن يتّخذ موقف الحياد تجاهها. كما أنّ الشهابيّة تعتبر أنّ التعاون الوثيق بين لبنان والبلدان العربيّة، لا يلغي أبدًا انفتاح لبنان على الغرب والعالم، وهو انفتاح يُمارَسْ منذ فترة طويلة وينظر إليه المسيحيّون على أنّه نوع من الحماية والأمان.»[٢٧٨]

في السياسة اللبنانيّة-العربيّة

في سياسة لبنان تجاه البلدان العربيّة، يشير حرب بأنّ الشهابيّة كانت شديدة الحرص على الاستقلال والسيادة الوطنيّة. إنّ استقلال لبنان هو بالنسبة إلى الشهابيّة ضمانة كافيّة لمصير المسيحيّين والموارنة، كما أنّ الهويّة العربيّة للبنان وتعاونه مع محيطه، يحترمان ويحافظان على تطلّعات وحقوق المسلمين اللبنانيّين، واللبنانيّين الذين يعيشون في البلدان العربيّة. «هكذا كانت وهذه هي سياسة الفاتيكان»، كان يردّد شهاب بحسب حرب.[٢٧٩]

٢٧٦- المرجع نفسه.
٢٧٧- المرجع نفسه.
٢٧٨- المرجع نفسه.
٢٧٩- مروان حرب، مرجع سابق، ٧٧-٨٢.

simon kashar 16 feb 2023.indd 127 2/17/2023 3:15:38 PM

يقول مروان حرب بأنّ الرئيس شهاب كان يعتبر أنّ مصلحة لبنان تتطلّب سياسة محايدة، وسياسة تساعد على بلورة موقف عربيّ مشترك عندما تكون هناك خلافات عربيّة بينيّة، لأنّ الخلاف بين البلدان العربيّة يمثّل خطرًا قاتلًا للتكوين المتعدّد الطوائف في لبنان. وفي الواقع يكتب جورج نقّاش أنّ: «السيّد، صديق الجميع» وهو المبدأ الرئيس للدبلوماسيّة اللبنانيّة، يفرض درجة من المهارة التي لم تعد تلقى مكافئاتها. في عالمٍ عربيّ تابع لقطبَين، القاهرة وبغداد، كنّا منذ العام ١٩٤٣ على نوعٍ من خطٍّ مثاليّ، حولَ هذا المحور الثابت يتمّ الدوران، مظهرًا بهذا أنّ الحياد وجبَ أن يكون حيادًا إيجابيًا يتوجّه نحو التفاهم والسلام بين البلدان العربيّة.[٢٨٠]

في السياسة الخارجيّة تجاه البلدان الغربيّة

«بنت الشهابيّة سياسةً غير عدائيّة تجاه الاتّحاد السوفياتي واعتبرت البلدان الاشتراكيّة، بلدانًا صديقة. ولم تنزلق العلاقات مع الغرب نحو الاصطفاف مع مصالح العواصم الأجنبيّة. لقد كانت هذه العلاقات تجد مبرّرها الثقافيّ والاقتصاديّ مع البلدان المتطوّرة والمجتمعات الحديثة بما يسمح للبنان أن يكون الصلة بين الشرق والغرب.»[٢٨١]

«وكانت العلاقة مع الولايات المتّحدة علاقة تعاون واحترام متبادل، ولكن مع بعض التحفُّظ بسبب دعم الولايات المتّحدة لإسرائيل. أمّا العلاقات مع فرنسا فقد كانت صُلبة وعميقة في مختلف المجالات خاصةً الاقتصاديّة والثقافية، وقد ساعد على ذلك سياسة انفتاح الجنرال ديغول تجاه العرب بعد استقلال الجزائر العام ١٩٦٢.»[٢٨٢]

«كان التوازن بين الشرق والغرب حرجًا جدًا بالنسبة إلى السياسة الشهابيّة، غير أن انفتاح الشهابيّة وتعاونها المكثّف مع فرنسا لم يكونا أبدًا سبب نزاع مع الولايات المتّحدة وبريطانيا والاتّحاد السوفياتي. كما أنّ التعاون مع الغرب لم يطغَ أبدًا على التعاون العربيّ–العربيّ. إنّ سياسة التوازن هذه، كانت دائمًا سياسة التيّار القوميّ العربيّ تجاه الغرب.»[٢٨٣]

٢٨٠– المرجع نفسه.
٢٨١– المرجع نفسه.
٢٨٢– مروان حرب، مرجع سابق، ٧٧–٨٢.
٢٨٣– المرجع نفسه.

simon kashar 16 feb 2023.indd 128 2/17/2023 3:15:38 PM

في الضغوط الخارجيّة والتحييد

يقول أنطوان مسرّة بأنّ «الحياد قد فرض على الديمقراطيات التوافقيّة الأوروبيّة الأربع، في وقتٍ من الأوقات، عبر اتّفاقٍ واضحٍ أو ضمنيٍّ بين الدول الكبرى. إن لبنان بلد صغير فرضت عليه مشاركة تتجاوز قدراته على الاحتمال والتقرير.»[٢٨٤]

ويشير مسرّة إلى أن «ضمان استقرار النظام بالنسبة إلى محيطه العربيّ والإسرائيليّ يمكن في مزيجٍ من ‹الانحياز› الواضح بين القطبَين الأميركيّ والسوفياتيّ وفي إجماعٍ دوليٍّ وعربيٍّ على وضعٍ لبنانيٍّ محايدٍ عسكريًّا على النمط النمساوي، وإلّا ظلّ النظام مسرحًا وضحيّةً للحرب العالميّة الثالثة المستمرّة التي تجري على أرض الآخرين وللحرب العربيّة الباردة».

إذًا، في موضوع لبنان وعلاقاته الإقليميّة والدوليّة، اعتقد فؤاد شهاب بضرورة أن تحمي سياسة لبنان الخارجيّة وحدته الوطنيّة والعكس، وبالنسبة إليه كانت الوحدة الوطنيّة الداخليّة عنصرًا هامًّا جدًا فيما يتعلّق بسياسة الدولة العامّة، فهو رأى واستنتج عبر التاريخ وخصوصًا جراء أحداث ١٩٥٨ بأنّ أسباب تلك الثورة هي انعدام الوحدة الوطنيّة والأهمّ من ذلك انعدام الولاء.

نستنتج بأنّ الرئيس شهاب، ورغم الهالة التي كان يتمتّع بها، ورغم وعيه وبصيرته، لكنّه آمن بدور الإدارة والإداريّين والسّياسيّين والسفراء وبأنّ كلّ واحد منهم يستطيع تمثيل لبنان بأفضل وجه طالما أن الهدف واحد والسياسة الخارجيّة والداخليّة واحدة.

رغم أنّ النظام السّياسيّ وقتها كان يسمح له بالاستئثار في اتّخاذ القرارات، أكان على صعيد تشكيل الحكومة أو غير ذلك، نرى هنا كيف أنّ الرئيس شهاب عكس إيمانه بضرورة تنسيق وتناغم المؤسّسات الدُّستوريّة فيما بينها، وربط مصادقة المجلس النيابيّ كسلطةٍ اشتراعيّة على قرارٍ بتلك الأهمّيّة.

نستنتج بأنّ فؤاد شهاب كان رئيسًا حذرًا وواقعيًا في الوقت نفسه، ولا يهوى اللعب على حافّة الهاويّة والمخاطرة، وهذا يعود ربما إلى تربيته العسكريّة. فخلال لقاء الخيمة الشهير مع الرئيس عبد الناصر، وبالرغم من أهمّيّة ودلالة جلوسه في النصف اللبنانيّ محافظًا بذلك على سيادة لبنان وعلى موقعه كرئيس وعلى احترام الذات كشعب، هناك

٢٨٤- أنطوان مسرّة، مرجع سابق، **نموذج السياسة**، صفحة ١١.

simon kashar 16 feb 2023.indd 129 2/17/2023 3:15:39 PM

شيء أهمّ وهو ما تطرّق به من مواضيع مع عبد الناصر، فوضع لبنان بمصافي الدول الكبرى (وقتها الجمهوريّة العربيّة المتّحدة)، فما كان من عبد الناصر إلّا أن تعامل معه من الند إلى الندّ.

في دور لبنان العربيّ وسياسته الخارجيّة، ربط الرئيس شهاب استقلاليّة لبنان بحياديّته عن افتراق الدول العربيّة، كما ربط صيانة سيادة لبنان بسياسة أخويّة مع المحيط العربيّ، عمل أن يكون لبنان صلة الوصل بين الشرق والغرب. ورغم ذلك، اتّبع معادلة واضحة جدًا تقول بوقف العهد الشهابيّ إلى جانب الدول عند اتّفاقها، وعدم التدخّل هو القرار عند اختلافها. كما أنّه كان يعتبر بأنّ استقلاليّة لبنان تتطلّب سياسة تضامنية مع البلدان العربيّة عندما تتّفق على موقف عربيّ مشترك، وسياسة حياد بين هذه البلدان عندما يفترقون في ما بينهم، أو في علاقاتهم مع البلدان الأجنبيّة.

في الحياد الإيجابي، كانت القاعدة الكبرى الموجّهة لسياسة لبنان الخارجيّة في ظلّ الشهابيّة هي قاعدة عدم الانحياز. وتجلّى ذلك من خلال إدراك الرئيس شهاب لضرورة إجراء توازن سياسيّ، وإعادة العلاقات الودّيّة مع جيران لبنان العرب، وفي الوقت نفسه الحفاظ على العلاقات التقليديّة مع الغرب حيث القيم التي يحرص عليها لبنان.

آمن الرئيس شهاب باستقلال الكيان اللبنانيّ وبانتمائه إلى القوميّة العربيّة، مؤكّدًا أنّ عروبة لبنان كانت تمرّ بتضامنه مع البلدان العربيّة وإخلاصه للقضايا القوميّة العربيّة، وبخاصّة القضيّة الفلسطينيّة.

أدركت الشهابيّة هذا الواقع المتوازن لسياسة لبنان الخارجيّة، فلم تحاول لعب أدوار إقليميّة ودوليّة تتجاوز قدرة لبنان.

simon kashar 16 feb 2023.indd 130 2/17/2023 3:15:39 PM